

نماذج من الرقي الأخلاقي

(٢)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في الرحمة





من مواقف رسول الله ﷺ

مما جاء في رحمة النبي ﷺ ما رواه
أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:
«إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد
إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز
في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه
من بكائه» أخرجه الشيخان رحمهما
الله تعالى^(١).

(١) صحيح البخاري، رقم (٧٠٩)، صحيح مسلم
رقم (٤٧٠).



فهكذا بلغت رحمة النبي ﷺ
بالأمهات إلى حد تخفيف الصلاة من
أجل أن تفرغ تلك الأمهات لرعاية
أولادهن.

وفي هذا الحديث لفظة كريمة
إلى لزوم مراعاة ما فطر الله عليه
الأمهات من العاطفة الجياشة
والحنان القوي نحو أولادهن، وإذا
كان هذا المطلب قد أدى إلى تخفيف
الصلاة وهي عماد الدين من أجل



بكاء صبي فكيف الحال فيما إذا دخل
الأولاد في وضع يُؤدّي إلى بكاء
أمهاتهم عليهم في مقابل التجاوز في
أمر هي أقل من الصلاة؟

ومن ذلك ما أخرجه الشيخان
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن
علي وعنده الأقرع بن حابس
التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي
عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا،



فنظر إليه النبي ﷺ ثم قال: من لا
يرحم لا يُرحم.

وأخرجنا من حديث عائشة
رضي الله عنها قالت: قدم ناس من
الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا:
أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم،
فقالوا: لكننا والله ما نقبل، فقال
رسول الله ﷺ: «وما أملك إن كان



الله نزع منكم الرحمة؟»^(١).

وأخرج الإمام أحمد من حديث
عبد الله بن شداد عن أبيه رضي الله
عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في
إحدى صلاتي العشي الظهر أو
العصر وهو حامل الحسن أو
الحسين، فتقدم ﷺ فوضعه ثم كبر

(١) صحيح البخاري رقم (٥٩٩٧)، صحيح مسلم
رقم (٢٣١٨).



للصلاة، فصلى فسجد بين ظهراني
صلاته سجدة أطاها، فقال: إني
رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر
رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت
في سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ
الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك
سجدت بين ظهراني صلاتك هذه
سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث
أمر أو أنه قد يوحي إليك، قال: فكل
ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني



فكرهت أن أعجله حتى يقضي
حاجته»^(١).

وأخرج الإمام البخاري من
حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال:
خرج علينا النبي ﷺ وأمامه بنت أبي
العاص^(٢) على عاتقه، فصلى فإذا ركع

(١) مسند أحمد ٤٩٤/٣.

(٢) يعني بنت زينب بنت النبي ﷺ.

وضعها وإذا رفع رفعها^(١) .
وهذا منهج تربوي في غاية
الرفعة والكمال، فهو يعطي الصغار
حقوقهم الكاملة في العناية والرعاية
فينشؤون بنفوس كبيرة وشخصيات
قوية تستطيع بعد تهذيب التربية
الدينية أن تتحمل المسؤوليات

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٩٩٦) .

الكبيرة، ولكن هذه التربية العالية
لا يقوى عليها إلا أصحاب النفوس
الكبيرة الذين يتواضعون ويبدلون
من وقتهم لإنشاء جيل يتحمل
المسؤولية في تبليغ هذا الدين
وتطبيقه.

وهذا الخلق العالي يكون مبنيًا
على الرحمة، وإنما يتصف بذلك من
قوي إيمانهم وهذب الإسلام
نفوسهم، ولقد كان لرسول الله ﷺ



من ذلك النصيب الأكمل، فجاءت
معاملته للصغار في غاية الكمال
التربوي.

وإذا كانت هذه معاملته
للأطفال وهو في صلاته وقد انشغل
قلبه بما هو أعظم من ذلك، فكيف
تكون معاملته إياهم خارج
الصلاة؟!

رحمته ﷺ بأصحابه :

من ذلك ما أخرجه الإمام
البخاري من حديث مجاهد بن جبر
أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول
«الله الذي لا إله إلا هو إن كنت
لأعتمد على كبدي على الأرض من
الجوع، وإن كنت لأشد الحजर على
بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً
على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ
أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله،



ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل،
ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من
كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ
فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم عليه السلام
فتبسّم حين رأني وعرف ما في نفسي
وما في وجهي، ثم قال يا أبا هرّ،
قلتُ: لبيك رسول الله، قال: الحقّ،
ومضى، فتبعته، فدخل فاستأذن فأذن
لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال:
من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهده لك



فلان - أو فلانة - قال: أبا هرّ، قلت
لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى
أهل الصفة فادعهم لي. قال: وأهل
الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون
على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا
أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول
منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل
إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها،
فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن
في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب



من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، فإذا
جاءوا أمرني فكنْتُ أنا أعطيهم، وما
عسى أن يُبلِّغني من هذا اللبن، ولم
يكن من طاعة الله وطاعة رسوله
ﷺ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا
فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا
مجالسهم في البيت. قال: يا أبا هريرة،
قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ
فأعطهم، فأخذتُ القدح فجعلتُ
أعطيهِ الرجل فيشرب حتى يروى،



ثم يردُّ عليَّ القدح فأعطيه الرجل
 فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ
 القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يردُّ
 عليَّ القدح، حتى انتهيت إلى النبي
 ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ
 القدح فوضعه على يده، فنظر إلي
 فتبسم فقال: أبا هر، قلت لبيك
 يا رسول الله، قال: بقيتُ أنا وأنت،
 قلتُ صدقت يا رسول الله، قال:
 اقعد فاشرب، فقعدتُ فشربت،



فقال: اشرب، فشربت، فما زال
يقول: اشرب، حتى قلتُ، لا والذي
بعثك بالحق، ما أجْدُ له مسلَكًا. قال:
فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله
وسمَّى وشرب الفضلة^(١).

فهذا حديث عظيم يبين لنا
عددًا من الأمور المهمة ومنها في

(١) صحيح البخاري، رقم (٦٤٥٢).



موضوعنا هذا أن فيه مثلاً من رحمة
النبي ﷺ حيث قام بمواساة أولئك
الكرام الذين ضحوا بسعادتهم المادية
في مقابل الظفر بالسعادة الروحية
فهاجروا من بلادهم وتركوا أموالهم،
فحينما وجد ذلك اللبن تذكّر على
الفور أصحاب الصُّفَّة الذين يمسُّهم
الجوع أحياناً فاستدعاهم ليشاركوه
وأبا هريرة في ذلك اللبن، فهذا مثل
بليغ في المواساة الرحيمة والشعور



بالمسؤولية عن المسلمين الذين
قعدتْ بهم ظروفهم المعيشية عن
تحصيل القدر الأدنى للحياة
الكريمة.

ويبين لنا هذا الحديث أن من
مظاهر السمو الفكري والشفافية
الحانية في المشاعر أن يتلمس القائد
احتياج المحتاجين وإن كانوا في حال
غياب عن ناظره وأن لا يقتصر في
نظراته ومشاعره على من حضر عنده أو



جمعتهم بهم المجمع، فليس حضور
الحاضرين بالذي يرفع من مستوى
احتياجهم، وليس غياب الغائبين
بالذي يخفض من ذلك، وليست
مقاصد مجاملة الحاضرين بالتي تغلب
على مقاصد مواساة ذوي الحاجات من
الغائبين عند العظماء الذين بلغوا الكمال
في الرقي الأخلاقي.

إن الذي ينظر في تقييم الأمور
إلى عالم الحس والمشاهدة ويغفل عن



عالم الغيب يكون تأثره بجوانب
طلب المحمّدة والمجاملة أكثر من
تأثره بجواذب العاطفة والوجدان.
وإنه من أجل ملاحظة هذه
المعاني الكريمة والمقاصد النبيلة نجد
أن النبي ﷺ قد صبر على احتمال منظر
أبي هريرة وهو يتلوّى من الجوع من
أجل أن يشبع بطوناً أخرى جائعة قد
غابت عن ناظره ولكنها كانت



مهيمنة على مخيلته وتفكيره ليُحيلَ
أكبر عدد ممكن من حياة البؤس إلى
حياة السعادة وليرى في قسّمات
وجوههم مظاهر البشر والفرح بدلاً
من أن يرى ذلك في وجه رجل
واحد.

وفي الحديث إشارة إلى أن الحق
في الإسلام يصل إلى مستحقّيه دون
أن يطلبوه، ليستوي الجميع في



إمكانية الحصول على حقوقهم
ولا يؤثر في ذلك قوة القوي فيأخذ
ولا ضعف الضعيف فيهمَل.



من مواقف الخيفتين

أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

من ذلك ما أخرجه الإمام أحمد

من حديث عائشة رضي الله عنها..

وذكرت خبر غزوة الأحزاب وبني

قريظة وخبر استشهاد سعد بن معاذ

رضي الله عنه من أثر الجرح الذي

أصابه.. إلى أن قالت: فحضره

رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر،

قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني



لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر
وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال
الله عز وجل ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
[الفتح: ٢٩] ^(١).

إننا لنجد في هذا الخبر صورة
من تألف الأرواح بين الصحابة
رضي الله عنهم، وبرز مظاهر الرحمة

(١) مسند أحمد ٦/١٤٢ .

والعطف في مجتمعهم.

وهو مظهر من مظاهر الحب
في الله تعالى والإخاء الإيماني فإن
سعد بن معاذ الأنصاري ليس بينه
وبين أبي بكر وعمر قرابة ولانساب
إلا نسب الإيمان الذي جمع بين
القلوب المختلفة وكوّن منها مجتمعا
قويا متماسكا، رضي الله عن
الصحابة أجمعين.

وهو أيضا مظهر من مظاهر



الاعتراف بفضل ذلكم المؤمن
المجاهد حيث تتسلسل أحداث
جهاده على شريط الذاكرة فتنعكس
صورها في تأثر ضاغط تَشْفُّ له
النفوس وتتحدّر له الدموع.



ومن مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

مارواه أبو عبيد بن سلام
بإسناده قال: بينا عمر نصف النهار
قائل في ظل شجرة، وإذا أعرابية
فتوسمت الناس، فجاءته فقالت: إني
امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث
محمد بن مسلمة ساعياً^(١) فلم يعطنا،

(١) الساعي هو الذي يجبي الصدقة ويقسمها بين
مستحقيها.



فلعلك - يرحمك الله - أن تشفع لنا
إليه!

قال: فصاح بيرفأ^(١): أن ادع لي
محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح
لحاجتي أن تقوم معي إليه، فقال: إنه
سيفعل إن شاء الله، فجاءه يرفأ فقال:
أجب، فجاء فقال: السلام عليكم يا
أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة، فقال

(١) يعني غلام عمر .



عمر: والله ما آلو^(١) أن أختار خياركم،
كيف أنت قائل إذا سألك الله عز
وجل عن هذه؟! فدمعت عينا محمد،
ثم قال عمر: إن الله قد بعث إلينا
نبيه ﷺ فصدقناه واتبعناه، فعمل بما
أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها
من المساكين حتى قبضه الله على

(٣) أي ما أقصر.



ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر فعمل
بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني
فلم أُلْ أن أختار خياركم، إن بعثك
فأد إليها صدقة العام وعام أول، وما
أدري لعل لا أبعثك، ثم دعا لها
بجمل فأعطاهما دقيقا وزيتا، وقال:
خذي هذا حتى تلحقينا بخير فإننا
نريدها، فأتته بخير فدعا لها بجملين
آخرين وقال: خذي هذا فإن فيه
بلاغا حتى يأتيكم محمد بن مسلمة،



فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام
وعام أول^(١).

فهذا مثل من رحمة أمير المؤمنين
عمر^{رضي الله عنه} وعطفه على الضعفاء، حيث
اهتم بأمر تلك المرأة المسكينة وعاتب
من أجلها محمد بن مسلمة رضي الله
عنه، مع أنه لم يتعمد تركها، ومثل من

(١) الأموال / ٥٩٩.

خشية الله تعالى يقدمه محمد بن مسلمة
حينما ذكره أمير المؤمنين بالله تعالى
فبكى من خشيته.

فما أعظم ذلك المجتمع الذي
يتأثر فيه أعلى مسؤول فيه وأحد كبار
رجال دولته من أجل امرأة مسكينة!!



ومن مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

ما أخرجه المؤرخ أبو زيد عمر بن
شبة من خبر زيد بن أسلم عن أبيه:
أن عمر رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى
هنيئاً على الحمى، وقال له: اضمم
جناحك عن الناس، واتق دعوة
المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة،

وأدخل رَبَّ الصُّرَيْمَةِ والغُنَيْمَةَ^(١) ،
وإِيَّاي وَنَعَمَ ابن عوف، وإِيَّاي ونعم
ابن عفان، فإنهما إن تهلك ماشيتهما
يرجعا إلى نخل وزرع، وإن رب
الغُنَيْمَةِ ورب الصريمَةِ إن تهلك
ماشيته جاعني بِبَنِيهِ فقال: ياأمير

(١) الصُّرَيْمَةُ القطعة من الإبل ، والغُنَيْمَةُ بالتصغير
القطعة من الغنم .

المؤمنين، أفتاركهم تالله لا أبالك^(١)،
فالماء والكلاء أهون علي من الذهب
والورق^(٢)، وإيم الله إنهم لَيَرون أني قد
ظلمتهم، وإنها لبلادهم قاتلوا عليها
في الجاهلية وأسلموا عليها في
الإسلام، ووالذي نفسي بيده لولا

(١) كلمة مدح معناها لاكافي لك إلا نفسك .

(٢) يعني الفضة .



المال الذي أحمل عليه في سبيل الله
ماحميت عليهم من بلادهم شبرا^(١) .
فهذا مثل من رحمة أمير
المؤمنين عمر رضي الله عنه بالفقراء
الذين ليس لهم إلا مورد واحد في
الرزق، فإذا قُطع هذا المورد هلكوا،
وفي مقارنة عمر بين هؤلاء الضعفاء

(١) تاريخ المدينة المنورة / ٨٣٩ - ٨٤٠ .

والأغنياء دلالة على اهتمامه بشأن
الضعفاء وأنه يقدمهم على الأغنياء،
وإن كان هؤلاء من كبار أهل الحل
والعقد كعثمان بن عفان وعبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنهما .

وهذه النظرة العادلة من
أسباب استقامة المجتمع وسلامته
من الاضطراب والخلل، لأن الفقراء
ومتوسطي الحال هم القطاع الكبير
في المجتمعات، فإذا كان الوالي يهتم



بشأنهم فإنه يضمن شمول حياة
الأمن والرخاء في المجتمع، أما
الأغنياء فإنهم يستطيعون أن يُسيِّروا
أمورهم بأمواهم التي تتعدّد—عادة—
مصادرها.

وهذه النظرة التربوية تعدُّ
امتداداً لمفعول الجهاد الدعوي، حينما
قضى المسلمون على الطبقة السائدة
في العالم آنذاك، حيث كان الضعفاء
حاشية للأغنياء يُسخرونها لما يريدون،



وفي ذلك شلل للفكر الإنساني وقضاء
على حياة الإبداع والنبوغ، لأن فكر
المجموعة من الناس يكون مرتبطاً بفكر
رجل واحد، والذي عمّق تلك الطبقية
وحوّلها إلى نظام اجتماعي هو اهتمام
المسؤولين بالأقوياء وإهمالهم الضعفاء.

وذكر الحافظ ابن كثير من خبر
زيد بن أسلم عن أبيه قال: أمر عمر
بإخراج الخطيئة من الحبس وقد كلمه
فيه عمرو بن العاص وغيره، فأُخرج



وأنا حاضر فأنشأ يقول:
ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لاماء ولاشجر
غادرت كاسبهم في قعر مظلمة
فارحم هداك ملك الناس ياعمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
ألقى إليك مقاليد النُّهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها
لكن لأنفسهم كانت بك الخيرُ
فامنن على صبيةٍ بالرمل مسكنهم



بين الأباطح يغشاهم بها القدر
نفسى فداؤك كم بينى وبينهم
من عرض أودية يعمى بها الخبر
قال: فلما قال الخطيئة: ماذا
تقول لأفراخ بذي مرخ، بكى عمر،
فقال عمرو بن العاص: ما أظلت
الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من

رجل يبكي على تركه الخطيئة^(١).
فهذا مثل من أمثلة كثيرة على
ماكان يتصف به أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه من الرحمة
والشفقة، حيث بكى حينما ذكر له
الخطيئة أبناءه الذين أصبحوا لاعائل
لهم، ولقد عدَّ عمرو بن العاص

(١) البداية والنهاية (٩٧/٨)، والخضراء هي السماء
والغبراء هي الأرض.

رضي الله عنه ذلك منتهى العدل
وكماله، لأن مساوئ الخطيئة الكثيرة
تجعل قلوب الناس عليه قاسية، لأنه
كان كثير الهجاء للناس، وقد سجنه
عمر رضي الله عنه لحماية أعراض
الناس منه.

ومن مواقف أمير المؤمنين عليه السلام عمر

ما أخرجه المؤرخ أبو زيد عمر بن شبة من خبر زيد بن وهب قال: خرج جيش في زمن عمر رضي الله عنه نحو الجبل ، فانتهوا إلى نهر ليس عليه جسر، فقال أمير ذلك الجيش لرجل من أصحابه: انزل فابغنا مخاضة نجوز فيها، وذلك في يوم بارد شديد البرد، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت ، فأكرهه فقال: يا عُمَرَاهُ يا عُمَرَاهُ، ثم لم يلبث



أن هلك، فبلغ ذلك عمر رضي الله
عنه وهو في سوق المدينة فقال :
يا البيكاه يالبيكاه، وبعث إلى أمير ذلك
الجيش فنزعه، وقال له: لولا أن
تكون سنة لأقذت منك، لاتعمل لي
على عمل أبدا^(١).

وهكذا تأثر أمير المؤمنين عمر

(١) تاريخ المدينة المنورة / ٨١٢ .

رضي الله عنه لموت ذلك الرجل،
حتى همَّ بقتل ذلك الأمير به تعزيراً
لولا أنه خشي أن يقتدي الولاية به في
ذلك ، فاكتمى بعزل ذلك الأمير عن
أي عمل في الدولة، وهذا مثل آخر
يدل على اتّصاف أمير المؤمنين عمر
بالرحمة والشفقة بالأمة.

ومن ذلك ما أخرجه المؤرخ
أبو زيد عمر بن شبة من خبر فضيل
ابن زيد الرقاشي قال: سَرْتُ سرِّيَّة



على عهد عمر رضي الله عنه على
أرجلهم، فأعيا رجل فأراد أن يقيموا
عليه فرفض أمير السرية فنأدى:
يأعمراه، فمضوا وتركوه، فبلغ ذلك
عمر رضي الله عنه، فكتب إلى أبي
موسى [يعني الأشعري] رضي الله عنه: أن ابعث
إليّ بالرجل، فبعث به إليه فأخذ قنأةً
فجعل يضربه بها ويقول: يالبيّكاه،
ويقول: يامهّلك، يقول لك الرجل
انتظرنى فتذهب وتركه فينادي:



ياعمراه؟ فجعل يعتذر إليه، فقال:
والله لأصلاح رجل من المسلمين
أحب إلي من هلاك كذا وكذا من
أهل الشرك ، وكتب إلى أبي موسى
عليه السلام: انظر مُهْلِكًا فلا تستعمله ما كنتَ
لنا على عمل^(١) .

فهذا مثل من رحمة أمير

(١) تاريخ المدينة المنورة / ٨١٢ .

المؤمنين عمر عليه السلام بالمسلمين وشفقته
عليهم، وهذا الخبر وأمثاله يدلنا على
أن ما اشتهر عنه من الشدة والقوة
ليس صفة ملازمة له في كل أحواله،
بل كان شديداً في محل الشدة وليّناً في
محل اللين .

وقول عمر «لصّلاح رجل من
المسلمين أحب إليّ من هلاك كذا
وكذا من أهل الشرك» مثال لعزة
المسلم ومقدار قيمته في هذه الحياة ..



فأين الذين لا يبالون بأرواح المسلمين
ولا يطالبون بدمائهم من هذا المثل
الأعلى ؟ !

وأخرج الحافظ البيهقي من
خبر أبي عثمان النهدي قال : استعمل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا
من بني أسد على عمل فجاء يأخذ
عهده، قال: فأتى عمر رضي الله عنه
ببعض ولده فقبله، قال: أتقبل هذا؟
ما قبلت ولدا قط، فقال عمر: فأنت



بالناس أقل رحمة هات عهدنا لا
تعمل لي عملاً أبداً^(١).

فهذا استدلال جيد من أمير
المؤمنين عمر، فإن أقرب الناس إلى
الإنسان أولاده ووالداه ، فإذا قلَّت
رحمته بأولاده أو بوالديه فإن ذلك
دليل على قسوة قلبه، ومن كان كذلك

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٤١ - ٤٢ .

فإنه لا يصلح للولاية، لأن أهم
مقومات العدل الاتصاف بالرحمة .



من مواقف عمرو بن العاص رضي الله عنه

لما انتهى فتح حصن باب
اليون- وذلك في فتوح مصر- أراد
عمرو بن العاص التحول من مكانه
ذلك، وأمر بالرحيل لاستكمال فتح
مصر، فحدثت حادثة واجهها عمرو
ابن العاص بسلوك إسلامي رفيع
يدل على عمق تخلقه بمكارم
الأخلاق، وقد ذكر ذلك ابن عبد
الحكم رحمه الله حيث يقول: لما فتح



عمرو بن العاص الحصن، وهو
المسمى الآن بقصر الشمع فكان
فسطاطه قبالة الحصن، فلما أراد
التوجه إلى الإسكندرية أمر بنزع
الفسطاط من ذلك المكان، فلما أرادوا
ذلك وجدوا عليه عُشَّ يمامة قد
باضت وأفرخت، فقال عمرو:



اتركوا الفسقاط على حاله احتراماً
لليامة التي عَشَّشت عليه^(١)

وفي رواية أخرى عند ابن عبد
الحكم: أن عمرو بن العاص لما أراد
التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بقي
بها من الروم أمر بنزع فسقاطه فإذا
فيه يمام قد فرخ، فقال عمرو بن

(١) بدائع الزهور ١/١٠٣.

العاص: لقد تحرّم منا بمتحرّم، فأمر
به فأقرّ كما هو، وأوصى به صاحب
القصر^(١).

وهذا شاهد حيّ على ماكان
يتمتع به المسلمون الأوائل من الرحمة
والعطف والمواساة، فلم تكن
الحروب المتواصلة ومشاهد القتل

(١) فتوح مصر / ٦٨.



والدماء عاملاً على قسوة قلوبهم
وميلها إلى العدوان والانتقام بل
وجدتهم العالمُ رحماءَ بررة أوفياء، ولا
أدل على هيمنة الرحمة على قلوبهم من
هذا الخبر، حيث ترك عمرو فسطاطه
رحمة بالحمامة التي عشت عليه
وفرخت فيه.

وإذا كان هذا القلب الكبير قد
حَنَى على حمامة فأبقى خيمته من
أجل أن لا تُفجع بفراخها، أفلا يكون



حائياً على بني البشر إذا هم تخلوا عن
طغيانهم وأبصروا طريق الحق؟!
إن هذا السلوك العالي يعدُّ من
أهم وسائل الدعوة إلى الإسلام
فالذين يمرون على ذلك الفسطاط
القائم وحده من أجل تلك الحماسة
وفراخها، والذين يسمعون بهذا
الخبر سيتساءلون عن الدوافع التي
دفعت هذه الأمة إلى أن تكون قوية
إلى أعلى غايات القوة في القتال،



ورحمة رقيقة إلى أسمى درجات
الرحمة والرقّة في حال السلم، فكيف
جمعت بين هذه الخصال التي ظاهرها
التناقض؟

والذي يجب على هذا التساؤل
هو البحث عن حقيقة الدين العظيم
الذي خضعت له هذه الأمة، وأصبح
هو المهيمن على تصوراتها وسلوكها
في هذه الحياة، لأن هذا الدين هو
الذي جمع الله به بين قبائل العرب



حتى تكونت منهم النواة الأولى
للأمة الإسلامية، فكل محاولات
العظيمة، وجميع نواحي الابداع التي
تمت من قادة المسلمين وجنودهم إنما
هي من ثمرات الهداية إلى هذا الدين
العظيم.

وأخيرًا فإننا نجد في هذا الخبر
لفتة مهمة نحو استشعار أولئك
العظماء رقابة الله عز وجل في كل
خطوة يخطونها، فلو أن هذا القائد



العظيم أمر بإزالة الفسطاظ فمن
الذي سيلومه على هذا التصرف؟
لكنه يعلم أن الله تعالى مطلع عليه
فهو يراقبه جل وعلا، ويعلم أن
معيته سبحانه لعباده بالنصر والتأييد
إنما تكون بمعيتهم له بالطاعة
والخضوع والتعظيم، وإنما يستنزل
المسلمون نصر الله سبحانه برحمتهم
خلقه الضعفاء وإن كانوا من
العجماوات التي لاحول لها ولا قوة.



من مواقف سفيان الثوري رحمه الله

إن من أخبار الرحمة بالحيوان ما
روي عن الإمام الرباني سفيان
الثوري ورحمته بالطائر، فقد أخرج
أبو نعيم من حديث عارم قال: أتيت
أبا منصور أعوده فقال لي: بات
سفيان في هذا البيت، وكان هنا بلبل
لابني، فقال: ما بال هذا محبوساً؟
لو خُلِّي عنه، قلت: هو لابني وهو



يهبه لك، قال: لا ولكن أعطيه دينارًا،
فأخذه فخلّى عنه، فكان يذهب
ويرعى فيجيء بالعشيّ فيكون في
ناحية البيت، فلما مات سفيان تبع
جنازته فكان يضطرب على قبره، ثم
اختلف بعد ذلك ليالي إلى قبره فكان
ربما بات عليه، وربما رجع إلى البيت،
ثم وجدوه ميتًا عند قبره، فدفن
عنده.

قال الذهبي: أبو منصور هو



بسر بن منصور السَّليمي كان سفيان
مختفيا عنده بالبصرة بعد أن خرج من
دار عبد الرحمن بن مهدي، قاله
الطبراني ^(١).

وهكذا أدركت رحمة هذا العالم
الرباني ذلك الطير المحبوس، وساءه
تقييد حريته، وهذا ثمرة من ثمرات

(١) سير أعلام النبلاء ٢٦٦/٧.

العلم النافع، وهذا يعني أن شعوره
بمشاعر إخوانه المسلمين أعظم من
ذلك بكثير.

ولقد كان هذا الإمام مُربِّياً
ناجحاً، خبيراً بأحاسيس النفوس
وآلامها وآمالها، فحينما عرض عليه
والد الطفل ذلك الطير هدية ليطلقه
أبى أن يقبل ذلك، فهو ليس ممن
تدركه الرحمة بالحيوان وينسى
أحاسيس الإنسان، فالطفل متعلق
بطيره، ولو ذهب منه بدون مقابل



لأصابه الحزن ولتأثرت نفسه بذلك،
ولكن حينما تتم مواساته ويعوض
عنه بما يحب فإنه لن يحصل له شيء
من التأثر، وسيظل محبا لذلك الشيخ
الذي جبر قلبه وقدر مشاعره.

وإن ماجرى من ذلك الطائر
من تعلقه بالشيخ حال حياته وبعد
وفاته حدث عجيب، وإنه يعطي مثلاً
حياً على مدى الألفة والانجذاب بين
الإنسان والحيوان.



من مواقف صلاح الدين رحمه الله
قد كان صلاح الدين الأيوبي
رحمه الله رقيق القلب رحيمًا بالمسلمين
عطوفًا عليهم، وقد بلغت رحمته
أعداءه، ومن ذلك أن امرأة من
الفرنج فقدت ولدها الرضيع وهو
ابن ثلاثة أشهر، فوجدت عليه أمه
وجدًا شديدًا واشتكت إلى ملوكهم،
فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم
القلب، وقد أذنَّا لك أن تذهبي إليه
فتشتكي أمرك إليه، فجاءت إلى



السلطان فأنهت إليه حالها، فرقَّ لها
رقة شديدة حتى دمعت عينه، ثم أمر
بإحضار ولدها، فإذا هو قد بيع في
السوق، فرسمَ بدفع ثمنه إلى
المشتري، ولم يزل واقفاً حتى جيء
بالغلام، فأخذته أمه وأرضعته ساعة
وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها
إليه، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على



فرس مكرّمة، رحمه الله تعالى^(١).
ولاشك أن هذا الموقف
وأمثاله من المواقف الأخلاقية كان
لها أثر بالغ في رفع سمعة المسلمين
الأخلاقية واجتذاب الناس إلى
الدخول في الإسلام.

(١) البداية والنهاية ٣٦٤/١٢ وانظر الروضتين
٢٤٥/٤.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في الرحمة
٧	من مواقف النبي ﷺ
٢٩	من مواقف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
٣٣	من مواقف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه
٥٩	من مواقف عمرو بن العاص رضي الله عنه
٦٨	من مواقف سفيان الثوري رحمه الله
٧٣	من مواقف صلاح الدين الأيوبي رحمه الله

